تعدّد الوجوه الإعرابية وأثره في تفسير القرآن الكريم

The Multiple Grammatical Forms and Their Impact on the Interpretation of the Holy Quran

حدّة بعرة

جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)، hadda.baara@univ-biskra.dz

د.غنية تومي

جامعة محمد خيضر-بسكرة (الجزائر)، ghania.toumi@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2025/12/05 تاريخ القبول: 2025/12/22 تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى دراسة تعدّد وجوه الإعراب في النّص القرآني بوصفها ظاهرة متجلّية في اللّغة العربية عامة، وفي سياق إعراب القرآن الكريم خاصة، بحثها النّحاة والمفسرون قديما وحديثا. ولتلك الأهمية، توسلنا المنهج الوصفي كآلية للتحليل في عموم الدراسة، والمنهج التاريخي في سياق تتبع تطور المصطلح، وآلينا الوقوف على نماذج من الوجوه الإعرابية الواردة في بع ض الآيات القرآنية التي يمكن أن يقول بها المعرِب عند إعرابه للمفردة في تركيبها، وتبيين أثرها في توجيه الدلالة، كما أشرنا إلى أسباب هذا التعدد ومسوغات النّحوي للقول بوجه إعرابي دون آخر، وترجيح احتمال على غيره، وتوصلنا إلى أنّ تعدّد الوجوه الإعرابية للكلمة الواحدة في السياق الواحد قد تكون نافذة لاتساع المعنى وانفتاح الدلالة، كما أنّه من أجلى صور الإعجاز النظمي والأسلوبي.

كلمات مفتاحية: التفسير، الوجوه الإعرابية، الإعراب، التركيب، القرآن الكريم.

Abstract:

This research paper seeks to study the multiplicity of grammatical cases in the Quranic text as a phenomenon manifest in the Arabic language in general, and specifically in the context of the grammatical analysis of the Holy Quran. It has been explored by grammarians and by scholars of interpretation both in the past and present.We employed a descriptive methodology through analysis, choosing to focus on examples of the grammatical cases found in some of the Holy Quranic verses that one might consider when analysing a word in the context of its construction. We also pointed out the reasons for this grammatical multiplicity and the variations of its forms, as well as the grammarian's justifications for preferring one grammatical case over another.

Keywords: interpretation, grammatical faces , syntax, structure, the Holy Quran.

المؤلف المرسل: حدّة بعرة، الإيميل: hadda.baara@univ-biskra.dz

1. مقدّمة:

من فرادة العربية وألمعيتها ملازمة الإعراب لها منذ نشأتها، وهذا التميز إنّما هو من بركة القرآن الكريم الذي تشرفت بنزول به بها دون غيرها من اللّغات، وهذه العلاقة فتحت آفاقا بحثية متنوعة، كان تعدّد وجوه الإعراب للّفظة الواحدة في السياق عينه أحدها، فما المقصود بهذه الأوجه؟ وما مسبباتها؟ وما هي أشكالها؟ وما أثرها في توجيه دلالة النّص القرآني؟ وهل هي عنصر غموض وتعمية في التركيب؟ أم مجال رحب رحابة العربية وقداسة القرآن الكريم؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات اخترنا المنهج الوصفي كآلية لتحليل لمناسبته لطبيعة الموضوع، والمنهج التاريخي في سياق تتبع تطور المصطلح، وكان استهلاله بالحديث عن الإعراب بوصفه الظاهرة الأجلى والأعم في المقال، لنرصد مختلف مراحل تطور المصطلح واستوائه على أيدي النّحاة وأهل الاختصاص.

وجاءت محاور الدراسة وفق الترتيب الآتي:

- الإعراب الماهية والأهمية.
- اتّجاهات إعراب القرآن الكريم.
- مصادر التوجيه الإعرابي.
- تعدّد أوجه الإعراب في القرآن الكريم في نماذج منتقاة.

2. الإعراب الماهية والأهمية:

تنوع مدلول مادة (ع ر ب) في المعاجم اللغوية وتلون بمعان مختلفة، تدور في غالبها حول التوضيح والتبيين والتغيير. قال الأزهري: «الْإِعراب والتَّعريب معناهما واحِد، وهو الإبانَة، يقالُ: أَعرب عنه لِسانه، وعرب أَي: أبانَ وأَفْصح. ويقالُ أَعرِبَ عمَّا في ضميرِكَ، أَي: أَبِنْ، ومن هنا يقالُ للرَّجلِ إِذا أَفْصح في الكَلام: قَدْ أَعرب»[1].

ومن معانيه كذلك : التغيير، فيقال: عربت معدة الرَّجلِ: إذا تغيّرت لفساد وقع لها، فتحولت من حال إلى آخر.

أما من الناحية **الاصطلاحية النّحوية** فإن لهذا المصطلح ثلاثة مفاهيم هي:

الأول: إبانة الكلام و إفصاحه؛ وذلك بالسير وفق منوال العرب في كلامها، وهو أيضا ضدّ اللّحن. نرى أنّ هذا المدلول امتداد للمدلول المعجمي، وهو الموجود في الآثار وأقوال القدامى من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وتابعيه، في الحث على إعراب القرآن الكريم بغية تصحيح النطق وإيضاحه، وصحة الأداء وسلامته، والنّأي عن الخطأ والتحريف بجميع الأشكال، فلا يقتصر هذا التصويب على تصحيح أواخر الكلمات كما في مفهوم الإعراب، بل هو شامل عام لكل أساليب السلامة في نطق الكلام، سواء في الحركات الإعرابية أو في الصيغ أو الأساليب أو الأصوات[2].

الثاني: هي دلائل لفظية تظهر على أواخر الألفاظ لإظهار الوظيفة اللغوية والقيمة النّحوية للكلمة في الجملة، وللجملة في النص ، وهذا ما يقابلنا في كتب النّحويين، فهو يدلّ على تغير أواخر الكلمات بتغير العوامل الداخلة عليها، أو ما يحدثه العامل من أثر ظاهر أو مقدّر في آخر الكلمات .

وتقريب مفهوم الإعراب في هذا المجال بأن يقال الإعراب هو حركات يلتزم بها المتكلّم للإبانة عن أغراضه من كل كلمة، لتمكّن المتلقي من استيعاب وإدراك مختلف العلاقات بين الألفاظ، في أساليب وتراكيب كلامه، وفق ما يبتغيه منها، وهو قسيم البناء، أي لزوم آخر الكلمة حالة واحدة ثابتة لا تتغير. وهذا المفهوم الثاني للإعراب الذي جاء بعد نشأة النّحو المراد به ما يرادف النّحو حتى إننا نجد بعض الكتب تطلق على النّحو تسمية علم الإعراب[3].وعليه، وممّا تم عرضه من مفاهيم متنوعة للإعراب، فإنه يعدّ من أهم خصائص اللّغة العربية التي تتميز بها عن غيرها من اللّغات، وهو أحد أوجه شرفها ونبلها، ودليل سعتها وشموليتها، والرابط بين التراكيب والمعاني فيها، بل كما يذكر أبو البقاء العكبري (ت616هـ) هو عمودها الذي تقوم عليه، فالكلام لو لم يعرب لتداخلت المقاصد وغمضت المعاني والتبست [4].

قال ابن قتيبة: «ولها – أي العرب – الإعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين، كالفاعل والمفعول، لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب» . [5]

لقد شاع هذا المفهوم في جل كتب النّحويين المعيارية والتطبيقية، منذ البدايات الأولى للتأليف النّحوي؛ إذ نجد سيبويه(ت180هـ) قد افتتح كتابه بالإشارة إليه في ثاني باب من الكتاب وهو: (باب مجاري أواخر الكلم من العربية)؛ فقال: « وإنما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه وبين ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث فيه من العوامل، التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب، فالرفع والجر والنصب والجزم لحروف الإعراب، وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة، وللأفعال المضارعة» [6].

وهكذا استمر هذا المفهوم في التأليف النّحوي ببيان أنواع الإعراب وعلاماته ومواضعه وقيمته الدلالية، ومنزلته من العربية.

الثالث: التحليل النّحوي للنّص بإظهار العلامة اللفظية والعلامة المعنوية بين أجزاء الجملة فيه، وذلك من خلال « ذكر موقع اللفظة في الجملة أو موقع الجملة في العبارة، كأن يقال عنها: إنها فاعل أو مفعول أو هي مبتدأ أو خبر» [7].

إنّ التحليل النّحوي الذي يصب فيه الإعراب هو الذي يهتم بتغير العلامة تبعا لتغير موقع الكلمة في الجملة، والذي يجلبه العامل اللفظي أو المعنوي؛ حيث إنّ كل موقع من المواقع الإعرابية يتّخذ له علامة معينة تميزه عن المواقع الأخرى، بالإضافة إلى أنها تدل على معنى خاص بذلك الموقع دون غيره، ومنه فهو صورة عملية لتوظيف الأحكام النّحوية في دراسة الخطابات، وتبين تعالق الأصول والقواعد بأنماط القول والتعبير، فهو تحليل للملفوظ اللّغوي، يرصد خصائص الجزئيات وسلوكها، ضمن الوحدة من القواعد والبيان و الأحكام، وبذلك يتجسد أنه بأحواله وتنوعاته المختلفة عملية كاملة متكاملة، تتساوق فيها خطوات الإعراب متكاتفة ودلالة الأدوات متعاونة.

إنه التطبيق على قواعد اللّغة العربية، ونسبته للنّحو نسبة العلاج لعلم الطب، والإفتاء للفقه؛ أي إنّ المعرب يأخذ بتلك القواعد النّحوية المنصوصة في كتب النّحو، ويقوم بتطبيقها على أجزاء الجملة أو الجملة أو النص والخطاب عامة، و هذا ما يجعل من الإعراب أهم وسائل النّحو، فحينما يقال: أعرِبْ: (دخل محمد)، أي طبق القواعد على هذا القسم، وأظهِرْ أنه مندرج تحتها[8].

ويمكن اعتبار هذا الاشتراك في المدلول الاصطلاحي لمفهوم الإعراب تطورا مرحليا في الدلالة؛ فمدلول الفصاحة هو المرحلة الأولى، وهو مفهوم يسبق نشأة النّحو العربي، ثم تطور إلى مدلول العلامة الإعرابية للوظيفة النّحوية، وهذا بعد وضع قوانين النّحو وتطور التأليف فيه، ثم تأتي المرحلة الثالثة بإطلاق الإعراب على الجانب التطبيقي الإجرائي التحليلي.

نلاحظ أنّ الإعراب في المفهوم الثالث قد ظهر مع النّحو مبثوثا بين ثناياه، ثم بعد ذلك أخذ بالانطلاق والتحرر مثله مثل العلوم الأخرى ، نشأ مع النّحو وفي جملته، ثم بدأ يستقل، وكان استقلاله في ظل القرآن الكريم، تناوله أولا النّحويون الذين بنوا استشهادهم على القرآن الكريم في الأكثر، واستعان به أهل التفسير في تفسير وتأويل الآيات الكريمة في مصنّفاتهم التّفسيرية، ثم أخذ إعراب القرآن يخلص وحده، وكان استقلاله ينمو شيئا فشيئا حتى أصبح غرضا قائما بذاته، مستقلا بنفسه، و اللافت أنّ هذا التطور الاصطلاحي في المرحلة الثالثة واستقلاله الذي تم له لم يلْغِ مدلوله في المرحلة الثانية، بل ظل المدلولان متداولين في الدرس النّحوي وعلوم القرآن على حدّ سواء.

ويكشف هذا التّطور الدّلالي وانتقاله من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية أبو القاسم الزجاجي (ت340هـ) لما قال: « الإعراب أصله البيان، يقال أعرب الرجل عن حاجته إذا أبان عنها، ورجل معرب أي مبين عن نفسه ...ثم إنّ النحويين لما رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعاني وتبين عنها سموها إعرابا أي بيانا، وكأن البيان بها يكون، كما يسمى الشيء باسم الشيء إذا كان يشبهه أو مجاورا له، ويسمى النحو إعرابا، والإعراب نحوا سماعا؛ لأن الغرض طلب علم واحد»[9] .

وهذه المرحلة في سيرورة المصطلح تقوم على التلازم بين مراحلها؛ ذلك أنّ الفصاحة تقتضي التزام إظهار أثر العوامل في أواخر الكلمات، وهي العلامات الإعرابية لموقع الكلمة من الجملة، وهذا يستدعي الكشف عن السبب النّحوي والمعنوي لمجيء هذه العلامات دون غيرها في أواخر الكلمات، وذلك بواسطة التحليل والتوجيه الإعرابيين.

وإن ابتغينا استخلاص فروق لمفهومي الإعراب في المرحلتين المتتاليتين الثانية والثالثة، فيمكن أن يشار إلى ذلك بما يأتي:

-إ نّ الإعراب في المرحلة الثانية هو عبارة عن علامات من حركات أو ما ينوب عنها، في حين أنّه في المرحلة الثالثة هو إدراك وتفكير ينتج عنهما تحليل وتعليق بين هذه العلامات ومظانّها النّحوية.

-إ نّ الإعراب في المرحلة الثانية هو صنعة المتكلّم وجوبا ولزوما ، م ن أجل استقامة كلامه بما يحدّد أغراضه من الكلام.

أما في المرحلة الثالثة فهو عمل نقدي؛ أي من جهد المتلقي، سواء كان مستمعا أو قارئا، على وجه التذوق أو التعلّم والتعليم بالكشف عن أغراض النّص المعرب وإعجازه وإبداعه وجماله.

-إنّ الغاية من الإعراب في المرحلة الثانية هي السلامة من اللحن والخطأ، وإنْ لم تعرف معاني الكلام، ووظائف جمله وأقسامه، في حين أنّ غايته في المرحلة الثالثة إنّما هي الكشف عن معاني الكلام ومعرفة أحكامه ومقاصده.

إنّ نتاج هذا النمط من النشاط اللّغوي للتوجيه الإعرابي هو المعرب، وذلك إما بإبراز مستوى حصيلته النّحوية، وإما بإظهار مهاراته بالكشف عن مكنونات النّص المراد إعرابه ومعرفته .

كذلك الربط بين الدلالة المعنوية واللفظية له؛ حيث إنّ الإعراب كما هو معلوم « هو خلاصة علم النّحو، ولا يملك زمام النّحو متعلم إلا إذا ملك الإعراب، وإلا وقف عند حد الاستظهار ولم يتجاوزه إلى التطبيق الذي هو ثمرة العلم» [10].

والثمرة الأخرى تعود إلى النّص المُعرب؛ وذلك باستعمال التحليل النّحوي، والكشف عن الوظيفة النّحوي ة التركيبية لمختلف مكوناته، لتتضح بذلك معاني السياقات والتركيبات في النّص.

وليس أدلّ على أهمي ة الإعراب ومكانته في لغتنا من الآية الكريمة: ((**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**))[فاطر:28]؛ إذ إنّ الإعراب أو الاعتماد على أواخر الكلم حدّدَ فاعلية العلماء وَإِنْ تَأَخَّرَ الفاعل، ومفعولية لفظ الجلالة، وبالتالي زال اللبس وبان فحوى الكلام.

3. اتّجاهات إعراب القرآن الكريم:

سارت الجهود التراثية لإعراب ألفاظ القرآن الكريم في اتجاهين مختلفين في التناول؛ أحدهما اتّجاه بوب آيات القرآن الكريم تبويبا نحويا؛ يضم الباب الواحد من كلام الله تعالى ما استجاب لظاهرة تركيبية أو إعرابية واحدة، ووافق فيه الظاهر الباطن، فكان حملا نحويا قلبا وقالبا، يفهم عن

عناية خاصة بالنّص المقدّس، تستنطقه من وجهة نظر نحوية، وتستفيد فيه من استواء البحث النحوي واكتماله، وتتقدم في مزيد من الدّقة والعمق والإحاطة بالملاحظات الإعرابية والتركيبية التي تناولها النّحويون، وينضوي ضمن هذا المنهج كتاب "إعراب القرآن" للباقولي(ت543هـ) والمنسوب خطأً إلى الزجاج (ت 311هـ)[11].

أما الاتّجاه الثاني؛ فيقوم بترتيب مادته وفق الترتيب المتّبع في كتب التفسير، بتناول السورة والآيات وفق الترتيب المعهود للمصحف الشريف، ولا يهتم – في الغالب– إلا بمعالجة القضايا النّحوية الإعرابية، وهذا الاتّجاه أكثر شيوعا وانتشارا من الأول.

ولعل سبب ذلك أنّ هدف المعربين كان المساعدة والإسهام في الكشف عن معاني الآيات بدلالتها وأحكامها، وهذا لا يظهر في المنهَجِ الأول[12].

4. مصادر التوجيه الإعرابي:

كثيرة هي ومتنوعة مصادر التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم ومواضعه في مصنّفات العلماء على تباين المشارب والمرامي والمبتغيات، نذكر منها:

- مصنّفات إعراب القرآن: وهي كتب أفردت لإعراب القرآن استقلالا؛ إذ اختصت ببيان إعرابه والكشف عن الوظائف النّحوية لألفاظه في سياقها القرآني الكريم، وقل أن تتعرض لمعانيه أو تفسيره؛ فقد يتناول المعرب القرآن الكريم سورة سورة، فيعربها ويبين الحكم الإعرابي للمفردات والجمل تتبعا وترتيبا .

وهذا النوع قد ظهر في وقت مبكر من عمر التأليف النّحوي، مثل إعراب القرآن ومعانيه لأبي إسحاق الزجاج (ت311 هـ)، و إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس(ت 338هـ).

- مصنّفات معاني القرآن: ونعني بها تلك الكتب التي تعنى بالبيان اللغوي لألفاظ العربية وأساليبها الواردة في القرآن الكريم؛ فهي تجمع بين المعاني اللغوية للمفردات وشيء من إعراب المشكل، والاحتجاج للقراءات.

وأقدم ما انتهى إلينا من هذه الكتب كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت209هـ)، و (معاني القرآن) للأخفش الأوسط (ت215 هـ)[13].

- مصنّفات الاحتجاج للقراءات القرآنية: وهي مصنّفات متخصصة تعنى بتتبع الآيات القرآنية الكريمة التي تباين القراء في أدائها، وتوجيه هذا الاختلاف دلاليا وإعرابيا، ومنها: كتاب إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه (ت370 هـ).

- مصنّفات التفسير والتأويل: وهي تلك الكتب التي وضعت من أجل الكشف عن معاني القرآن الكريم، سواء من خلال النقل، أو من خلال الرواية أو من الدراية. وكان التوجيه الإعرابي عملا أساسا في ذلك؛ إذ اتخذ جل المفسرين **الإعراب** منهجا معروفا من مناهج التفسير، فكثيرا ما كانوا يبتغون تحديد عناصر الكلام، وبمجرد رصد الوظائف التركيبية تظهر الدلالات وتتكشّف، وإنْ وقع المفسرون في اختلاف في تقسيم الكلام وإعرابه وجدوا أنّ المعنى قد تغير، وتعددت الاحتمالات الإعرابية وتفاوتت قوتها بتفاوت الأدلّة الإعرابية المشرعة له المسوغة لها.

وتختلف هذه المصنّفات في مناهج العرض لوجوه الإعراب واحتمالاتها، منها: كتاب الكشاف للزمخشري (ت538هـ)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(ت 745هـ)[14].

- مصنّفات النّحو المعيارية: وهي الكتب التي ألفها النّحويون لضبط اللّغة العربية وفق قواعد ومعايير مستقاة من كلام العرب.

وتعدّ كتب النّحويين من أهم مصادر التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم مثل: كتاب سيبويه؛ إذ نجد أنّه في مؤلّفه هذا من أكثر النّحاة تمسكا بالشّاهد القرآني وأعظمهم إجلالا له، وأشدّهم تقديرا لقوته الحجاجية.

- مصنّفات المعاجم اللّغوية: وهي الكتب التي تهتم بدلالة المفردات والصيغ النّحوية، وتضم بين ثناياها إعرابا للآيات القرآنية وتخريجٍ لتراكيبها.

هذا وإنّ المتتبع للتوجيهات الإعرابية لآيات القرآن الكريم في المصادر السابقة وغيرها يجدها تتفرع إلى نوعين:

1- النوع الأول: توجيهات واضحة بينة لا تحتمل تعدّدا ولا اختلافا ولا تداخلا.

2- النوع الثاني: توجيهات متعدّدة يحتملها السياق القرآني الواحد، فكانت محطّ اختلاف وتباين بين المعربين، خاصة في انتقاء الأثر انسجاما و مقتضى الآية القرآنية الكريمة.

ويمكن إرجاع هذا الاختلاف إلى أسباب متعددة أهمّها[15] :

– السياق القرآني الواحد لأكثر من معنى؛ إذ يحاول كل من أراد إعراب اللفظة القرآنية أن يصل بالإعراب إلى الدلالة التي تنسجم وبقية المقتضيات، فأسلوب القرآن الكريم معجز بكل ما تحمل الكلمة من معنى، لا يقدر أحد أن يحيط بجميع مقاصده ودلالاته، يحتمل كثيرا من المعاني وعديدا من الأوجه، لاسيما تعدّد أوجه الإعراب في الجملة القرآنية الواحدة ضرب من ضروب إعجاز القرآن الكريم.

– الاختلاف في أصل القاعدة النّحوية؛ حيث إنّ الإعراب وجه إجرائي للدرس النّحوي، فما كان من تباين تقعيدي بين النّحاة حول ظاهرة من الظواهر، فإن هذا الخلاف سينسحب على التوجيه احتمال الإعرابي له.

– مخالفة ظاهر الآية في تركيبها للقاعدة النّحوية المعهودة، وعندها يكون باب الاجتهاد مشرعا بين المعربين لردّ هذا الظاهر إلى القاعدة النّحوية المعروفة.

– الخلفيات القبلية التي تلازم المعرب معه قبل البدء في إعرابه للآية الكريمة، فتكون مؤثّرة في توجيهه الإعرابي واختياره وجها دون آخر.

– عدم ظهور الحركة الإعرابية آخر الكلمة المراد إعرابها، سواء لبنائها أو لتعذر ظهورها، وعندها يتحتم الانتقال من التركيب إلى دلالة السياق وبقية المرجحات الأخرى؛ ذلك « أن تحديد وظيفة الكلمة في الجملة لا يتم إلا بسبب تضافر مجموعة من القرائن المختلفة من لفظية ومعنوية»[16] لاشتراك في دلالة بعض المفردات، وخاصة في بعض البنى الصرفية وحروف المعاني، ممّا يجعلها تحتمل أكثر من توجيه إعرابي وتحديد وظيفي تركيبي.

5. أثر تعدّد الوجوه الإعرابية في تفسير القرآن الكريم:

تزداد أهمية هذا النشاط وتشرف مكانته إذا كان متّجها إلى نص القرآن الكريم؛ إذ هو ضروري لمن يريد فهم معاني القرآن واستنباط أحكامه، والوصول إلى معرفة أوامره ونواهيه، لأن المعنى التركيبي فرع الإعراب.

ولهذا قال ابن جرير الطبري (ت310 هـ) وهو يسوغ اهتمامه بذكر أعاريب الآيات: « وإنما اعترضنا بما اعترضنا في ذلك من بيان وجوه إعرابه – وإن كان قصدنا في هذا الكتاب الكشف عن تأويل آي القرآن – لما في اختلاف وجوه إعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله، فاضطرتنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه، لتنكشف لطالب تأويله وجوه تأويله على قدر اختلاف المختلفة في تأويله وقراءته»[17].

ولأنّ إعراب القرآن الكريم أمره مختلف، فقراءته بها حدود قارة ودقيقة، تفرض قراءة مضبوطة معربة، كما تفرض تدبر معناه مع القراءة حتى لا تضيع مثوبة قارئه.

إنّ التوجيه الإعرابي نهج السلامة من اللحن بالكشف عن الوظيفة التركيبية لمفردات الآية الكريمة، فهو البديل عن السليقة اللغوية، ومنه، فهو السبيل إلى ضبط قراءة القرآن الكريم، والكشف عن وجوه إعجازه وبيانه، ووجوه اختلاف قراءته، وفهم أسرار هذا الاختلاف.

ويلخص الطبرسي (ت 548 هـ) أهمية إعراب القرآن وفوائده قائلا: «إنّ الإعراب أجل علوم القرآن، إليه يفتقر كل بيان، وهو الذي يفتح من الألفاظ الأغلاق ويستخرج من فحواها الأعلاق؛ إذ الأغراض كامنة فيها فيكون هو المثير لها، والباحث عنها والمشير إليها، وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه، ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع إليه .»[18]

لقد اتّسع استعمال الإعراب بهذا الاتّجاه التحليلي حتى صار مهارة لغوية، يكشف من خلالها عن مدى تقدّم المعرب وبراعة النّص المعرب، ولهذا لجأ إليه أهل التفسير في تفسيرهم القرآن الكريم، والشراح في شرحهم الأحاديث النبوية الشريفة، والنصوص الشعرية والنثرية، وحظي القرآن الكريم بنصيب وافر منه، حين أقدم النحاة على إعرابه، وتبيين مواقع ألفاظه الشريفة.

كما تباين تناول العلماء القدامى لإعراب القرآن الكريم تباين مشاربهم، واختلاف مناهجهم؛ إذ إنّ المصنفات المؤلّفة في هذا العلم كثيرة جدا، ومختلفة ترتيبا وحدّا، فمنها المختصر حجما وعلما، ومنها المطول لكثرة إعراب الظواهر واحتمالاتها، وتداخل الإعراب بالمعاني والدلالات.

وإذا نحن أردنا توضيح مسألة تنوع الوجوه الإعرابية للفظة الواحدة في السياق ذاته كان النّص القرآني خير أنموذج، لأنه النّص الأقدس والأكثر إعجازا لغة وأسلوبا ونظما؛ فعلى سبيل المثال في قوله تعالى: ((**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالّيْنْ**))[الفاتحة:07]. اختلف النّحاة في إعراب (غير) وانقسموا قسمين على قولين:

الأول: الجر على البدل من (الذين) أو من الضمير في (عليهم)، والمعنى (غير) مخفوضة بنية تكرير ر (الصراط) الذي خفض (الذين) عليها، فكأنّك قلت: صراط الذين أنعمت عليهم، صراط غير المغضوب عليهم، وهو رأي الطبري. يقول: «وإذا وجه إلى ذلك– يعني البدل– كانت (غير) مخفوضة بنية تكرير "الصراط" الذي خفض "الذين" عليها، فكأنّك قلت: صراط الذين أنعمت عليهم، صراط غير المغضوب عليهم »[19].

الثاني: الجر على الصفة لـ (الذين) وهو قول أبي حيان الأندلسي؛ فغير مجرورة على الصفة، والرأي الأول مرجوح، وذلك لأنّ البدل من شأنه أنْ يفيد متبوعه المبدل منه مزيدا من التأكيد والتقرير والإيضاح والبيان، وليس هو كذلك هاهنا [20].

وفي قوله عز من قائل: ((**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا**))[المرسلات:25] رصد المفسرون في خضم إعرابها أربعة أوجه إعرابية في تعليل نصَب لفظة (أحياء) هي:

الوجه الأول: مفعول للمصدر (كفاتا)، والمعنى: كافتت أحياء وأمواتا.

الوجه الثاني: مفعول به لفعل محذوف تقديره (تكفت)، والمعنى: تكفت أحياء على ظهرها، وأموات في بطنها.

الوجه الثالث: حال من الضمير في (تكفتكم)، والمعنى: أحياء وأمواتا .

الوجه الرابع: مفعول به ثان للفعل (جعلنا)، والمعنى: جعلنا بعض الأرض أحياء بالنبات، وعلى هذا الوجه تكون (كفاتا) حالا[21].

إنّ اللفظة القرآنية في سياقها قد تحتمل أكثر من وجه إعرابي؛ فيكسبها هذا الوضع معان تفسيرية جديدة؛ فمثلا قيل في توجيه نصب لفظة (كلالة) في قوله تعالى: ((**وَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً**))[النساء:12] أنّ الأمر يتوقف على المراد بها:

- (كلالة) اسم للميت فتعرب حالا من نائب فاعل يورث، ويورث خبر كان أو صفة، وكان تامة أو ناقصة.
- (كلالة) خبر كان ويورث صفة لرجل، أي كان رجل موروث ذا كلالة ليس بوالد ولا ولد.
- (كلالة) للقرابة فتعرب مفعولا لأجله أي يورث لأجل الكلالة أي القرابة[22].

6. خاتمة:

في الأخير نقول: إنّه و في رحاب الإعراب وتعدّد وجوهه، وفي نماذج من المتن القرآني الكريم، يمكن استخلاص الآتي:

- يعدّ اختلاف وجوه الإعراب من أبرز مظاهر التنوع التّفسيري في القرآن الكريم؛ فتغير موقع الكلمة أو توجيهها النّحوي ينعكس مباشرة على المعنى المستفاد، ما يفتح للمفسر أكثر من احتمال، ويمنح النّص القرآني ثراء دلاليا واسعا.
- الوجه الإعرابي ليس مجرد صياغة شكلية للجملة، بل هو مسلك يبين العلاقات بين التراكيب، ويظهر ما يترتب عليها من فروق في الفهم والتأويل.
- تعدّد الوجوه الإعرابية من صور الإعجاز النظمي والـ تركيبي، وباب مهم لإثراء علوم اللغة العربية.
- لا يفضي تعدّد الوجوه الإعرابية بالضرورة إلى تعدّد وجوه الدلالة.
- تعدّد الوجوه الإعرابية للكلمة الواحدة في السياق الواحد قد تكون نافذة لاتساع المعنى وانفتاح الدلالة.
- أبلى علماء السلف من أهل التفسير والنّحو بلاء حسنا في بحث الوجوه الإعرابية ومختلف التلونات الوظيفية للفظة القرآنية.

7. قائمة المصادر والمراجع:

- الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللّغة، تح. محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط1، 2001م.
- الأندلسي، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تح. صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت – لبنان،

(د.ط)، 2001م.

- الجطلاوي، الهادي، قضايا اللغة في التفسير المنهج-التأويل-الإعجاز، دار محمد علي الحامي تونس، ط1، 1997م.

- الزجاج، أبو إسحاق، إعراب القرآن، تح. إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة- مصر، ط4، 1999م.

- الزجاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النّحو، تح. مازن المبارك، دار النقاش، بيروت-لبنان، ط2 ، 1986م.

- سيبويه، عمرو، الكتاب، تح. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط3، 2005م.

- عبد اللطيف، محمد حماسة، من الإعجاز القرآني تعدّد أوجه الإعراب في الجملة، مكتبة الزهراء، القاهرة، (د.ط)، 2009م.

- العكبري، أبو البقاء، التبيين عن مذاهب النّحويين، تح. عبد الرحمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1986م.

- الطبري، ابن جرير، جامع البيان، تح. محمود شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرمة- العربية السعودية، (د.ط)، 2009م.

- ابن قتيبة، أبو محمد، تأويل مشكل القرآن، تح. إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط3، 2007م.

- محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1985م.

- محمد بن صالح العثيمين، مختصر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، مكتبة الرشد، السعودية، ط1، 1427هـ.

- محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة، دمشق-سوريا،1407هـ.

– منيرة بنت سليمان العلولا، الإعراب وأثره في ضبط المعنى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 2010م.

8. قائمة الإحالات:

[1]– الأزهري، تهذيب اللغة، 323/2.

[2]– ينظر: منيرة بنت سليمان العلولا، الإعراب وأثره في ضبط المعنى، ص57.

[3]– ينظر: الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص90.

[4]– ينظر: أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن،55/1.

[5]– ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص14.

[6]– ينظر: سيبويه، الكتاب، 20/1.

[7]– محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص148.

[8]– ينظر: محمد بن صالح العثيمين، مختصر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص3،5.

[9]– الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص 91.

[10]– الزجاج، إعراب القرآن، 1091/3.

[11]– ينظر: الهادي الجطلاوي، قضايا اللغة في التفسير، ص64-65.

[12]– ينظر: نفسه، ص66.

[13]– ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ص 46.

[14]– ينظر: الهادي الجطلاوي، قضايا اللغة في التفسير، ص306.

[15]– ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، من الإعجاز القرآني –تعدد أوجه الإعراب في الجملة، ص 90-101.

[16]– نفسه، ص 90.

[17]– الطبري، جامع البيان، 91/1.

[18]– محمد حماسة عبد اللطيف، من الإعجاز القرآني –تعدد أوجه الإعراب في الجملة، ص148.

[19]– الطبري، جامع البيان، 107/1.

[20]– ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط،52/1

[21]– ينظر: نفسه، 53/1.

[22]– ينظر: نفسه، 532/3 -535.